هل التلمود كتاب مقدس أم قبس اسطوري

الأستاذة: فاطمة أنهيشم

تخصص العقائد والاديان السماوية،

جامعة محمد الخامس الرباط-المملكة المغربية

مقدمة

تعتبر الاسطورة حكاية مقدسة، تتداخل فيها قوى وكائنات اقوى وارفع من البشر، تدخل في نطاق الدين حاملة اسرارا لا يسع الانسان معرفتها. فالأسطورة تروي لنا كيف حدث او كيف بدأ شيء ما. فالأسطورة هي سجل أفعال الآلهة التي أخرجت الكون من لجة العماء. ووطدت نظام كل شيء وضعت صيغة أولى لكل الأمور الجارية في عالم البشر، فهي معتقد راسخ.

قديما كانت الأسطورة تمثل كل شيء فهي تفسر الخلق وأصول الدين والأخلاق والحاجات الاجتماعية، وحاليا ننظر للأسطورة على أنها الدين القديم الذي آمن به الاسلاف وتناقلته الأجيال، ففي الاسطورة يلتقي الدين مع التاريخ والأدب القصصي والفلسفة الأخلاقية وما وراء الطبيعة، وكان أول من وضع الاساطير هم السومريون[1].

من هنا جاء الحديث عن هذا الموضوع الذي يتمحور أساسا حول علاقة التلمود بالأسطورة، وهل يمكن أن يرجع مضمون ومصدر التلمود الى الاسطورة التي تجمع بين الخرافة والحقيقة، مع العلم ان اليهود يقدسون كتاب التلمود ويجعلونه اكبر قيمة فوق التوراة نفسها، وأخطر عقيدة يحويها هذا الكتاب هي انهم هم شعب الله المختار، وغيرهم من باقي البشر حيوانات خلقوا لأجل خدمتهم فقط، وهذا المعتقد ينم عن خبث نيتهم من أجل السيطرة والتحكم والاستيلاء على العالم اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، من هنا جاءت فكرة هذا البحث لدراسة بعض مضامين التلمود في ضوء الاسطورة، وهل هناك علاقة بين النصوص التلمودية وبعض الاساطير، هل يمكن اعتبار التلمود عبارة عن اسطورة فيها نوع من الحقيقة وجزء من الخرافة والخيال، وهل يمكن حقا ان تصنف هذه النصوص ضمن الاسطورة ام انها أبعد ما يكون حتى عن قدرة استيعاب العقل، ام انها نتاج اوهام وأحقاد وخبائث النفسية اليهودية التي تسعى للوصول الى مآربها باي ثمن.

1- حسين نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة،السنة 1994م، دار الفكر اللبناني، بيروت، ص: 26.

اذن هل يمكن ان نعتبر هذا الكتاب (التلمود) حقا كتابا مقدسا، ام انه قبس اجتث من الاساطير؟؟

هذا ما سنحاول الاجابة عنه من خلال هذا البحث، من خلال تعريف التلمود والاسطورة، والعلاقة بينهما.

أهداف البحث:

يتجلى الهدف من هذا البحث في بيان علاقة التلمود الذي يعتبر كتابا مقدسا، ومكانته فوق مكانة التلمود عند فئة من الناس وهم اليهود بالأسطورة، باعتبارها شيء خارق يؤمن به الانسان ليفسر بعض ظواهر الكون من الخلق والبعث وكل ما تساءله به نفسه، ولها علاقة بالدين، بمعنى هل يمكن ان يحتوي التلمود على ما يمكن اعتباره اسطورة ام لالا؟؟

هذا ما سيكشف عنه هذا البحث.

اهمية البحث:

محاولة الكشف عن بعض مكامن النفسية اليهودية التي تظهر من خلال الاقوال التي يحتويها التلمود وتصنيفها الى نسق اخر من الدراسة وهو نسق الاسطورة واظهار الترابط بين هذه الاقوال وبين ما تسفر عنه مظاهر الاسطورة في ظل تعالم التلمود الخرافية.

منهج البحث:

ساعتمد على المنهج المقارن، بعد تحديد مفهومي التلمود والاسطورة سأقوم بالمقارنة بين بعض مضامين التلمود مع ما يتم سرده في الاسطورة. مع تحليل بعض النصوص بما يتماشى مع سيرورة البحث.

محاور البحث:

- اولا: مفهوم التلمود
- ثانيا: مفهوم الاسطورة.
- العلاقة بين التلمود والاسطورة
- استنتاج وخاتمة.

أولا: مفهوم التلمود

ترجع أصل كلمة تلمود إلى الكلمة العبرية المشتقة من الجذر العبري " لامد" الذي يعني الدراسة والتعلم، كما في عبارة " تلمود توراة" التي تعني "دراسة الشريعة". وتعود كل من كلمة " تلمود" العبرية وكلمة " تلميذ" العربية إلى أصل سامي واحد[1].

ويمكن تعريف التلمود اصطلاحا كما عبر عنه معتقدوه بكونه: "مجموعة قواعد ووصايا، وشرائع دينية وأدبية ومدنية وشروح وتفاسير وتعاليم وروايات كانت تنتقل وتدرس شفهيا ثم دونت بعد ذلك[2].

كما يمكن تعريفه أيضا بأنه: " الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية الشفوية، أو بعبارة اكثر تحديدا: هو الكتاب العقائدي الذي وحده يفسر ويبسط كل معارف الشعب الاسرائيلي وتعاليمه وقوانينه الاخلاقية وآدبه"[3]. أو هو: "كتاب شرائع وآداب إسرائيل"[4].

يمكن أن نستنتج من هذه التعاريف بأن مفهوم التلمود هو عبارة عن تعاليم ومعتقدات ووصايا وروايات وتفاسير وقوانين حياة اليهود التي كانت تدرس شفويا، قبل ان تجمع وتدون في ما يسمى الان بالتلمود.

فالتلمود إذن عبارة عن تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة(التوراة)، ويخلع التلمود القداسة على نفسه من منطلق أن الشريعة الشفوية لا تقل في منزلتها عن الشريعة المكتوبة باعتبار أن كلمات علماء التلمود موحى بها من عند الله، بل يدعي حاخامات اليهود أن موسى عليه السلام هو المصدر الاول لهذا الكتاب، ويفسرون ذلك

1- المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الطبعة الاولى، دار الشروق، القاهرة، ج5 ، ص: 130.

2- هلال فارحي ولش، أساس الدين، ترجمة وتحقيق: أسعد الشدودي، الطبعة الاولى، السنة، 2005م، دار ومكتبة بيبليون، ص: 25.

3 – الشرقاوي محمد عبد الله: الكنز المرصود في فضائح التلمود، الطبعة الاولى، السنة 1993م، مكتبة الزهراء القاهرة، ص: 11.

4 – بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، الطبعة الثانية، 1983م، المكتب الاسلامي، بيروت، ص: 21.

بقولهم: ان موسى قد تسلم القانون المكتوب على ألواح الحجر فوق الجبل، كما قد تسلم من الله أيضا تفسيرات وشروحا لهذا القانون، وهو ما يدعي بالقانون الشفوي، او القانون الثاني.

- **مكونات التلمود:**

كما يبدو من الوهلة الأولى أن التلمود ليس مكونا واحدا وإنما هو عبارة عن جزئين مختلفين لكن مجموعهما هو التلمود. اذن ما هي مكونات التلمود؟

يتكون التلمود من جزئين رئيسيين هما[1]:

1- المشنا Mishnah، وترجع الى الكلمة العبرية (هلاخا) مشتقة من الفعل (هلخ) بمعنى سار اي ما اتفق على السير عليه من شرائع وقوانين[2]، وهي الأصل.

كما أن لها معنى آخر وهو: التثنية أو الإعادة وتدل في اللغة العبرية على معنى الحفظ والتعليم[3].

وكلا المعنيين ينطبق على مفهوم التلمود، فهي بالمعنى الاول السير على شرائع وقوانين الحاخامات المتضمنة في التلمود، وأيضا تنطبق على معنى تعلمها لكل يهودي وكيف هو جزاء من يدرس التلمود ويتعلمه، بالإضافة إلى كون علماء اليهود حريصين على كتابهم هذا من الضياع والاندثار.

وقسم يهوذا كتابه هذا إلى ستة أقسام. وهي التي عرفت فيما بعد باقسام المشنا الستة، والتي هي[4]: زيرائيم، موئيد، ناشيم (المراة)، نزيكين، كوداشيم، توهاروث، ويتكون من اثني عشر سفرا.

1 - Jewish Encyclopedia, New York, 1948, v 10, « Talmud ».

2- فكري جواد عبد، كتاب التلمود وأثره في الفكر اليهودي، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد السادس، السنة 2007م. ص: 226.

3- عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية: عرض تاريخي، الطبعة الاولى، السنة 2002م، دار عمان، ص: 158.

4- نفس المرجع السابق.

والتلمود يشار إليه احيانا بكلمة شاس، وهي اختصار للكلمة العبرية (shishah sedarim) أي الاحكام الستة.

2- الجمارا Gemara، وهو عبارة عن مجموعة المناظرات والتعاليم والتفاسير التي دونت في المدارس اليهودية بعد الفراغ من كتابة المشنا، فبعد أن انهى الرباني يهودا الناسي تدوين المشنا، جاء العديد من الحكماء والفقهاء الذين قاموا بتهذيب المشنا والتعليق عليها وشرحها وتفسيرها[1]، وقام بهذا التعليق والشرح والتفسير حكماء اليهود الملقبين بالاموراييم في المرحلة الممتدة بين عامي 220م، -500م[2]، اذن التلمود مجموعة تعاليم مكونة من المشنا والجمارا، كما هناك نوعين من التلمود، تلمود اورشليم وتلمود بابل.

ثانيا: مفهوم الاسطورة:

لغة: هي كلمة مشتقة من الجذر اللغوي للفعل سطر، واسم المفعول منها مسطور، جاء في قوله تعالى:" **ن والقلم وما يسطرون**"[3]، وقوله تعالى:" كان ذلك في الكتاب مسطورا"[4].

اما السطر فهو:" الصف من الكتاب والشجر والنخل"[5]، " والسطر الخط والكتابة"[6].

ان صيغة الأسطورة هي صيغة منتهى الجموع لان أساطير هي جمع اسطار واسطار جمع سطر. كما هو الحال في سبب وأسباب.

لم ترد كلمة أسطورة في القران الكريم بصيغة المفرد وإنما جاءت بصيغة الجمع وفي تركيب بعينه هو قوله تعالى: " اساطير الاولين"[1]. بمعنى أنها أخبار تؤثر في

1- أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، الطبعة الثانية، ص: 175.

2- نفس المرجع.

3- سورة القلم، الاية 1.

4- سورة الاسراء، آية: 58.

5- لسان العرب لابن منظور، مادة سطر.

6- نفس المرجع

الماضين، لا سيما أن " أساطير الأولين" إنما وردت في القران بهذا المعنى في سور مكية وفي سياق جدل واحتجاج بين النبي وكفار قريش لأنهم اعتبروا تلك الأخبار من الأوهام والاباطيل[2]، ومن خلاله نعرف ان تلك الاخبار حقيقية بالنسبة الى المسلمين و"اساطير" بالنسبة لاهل مكة من تجار قريش. فما كان القرشيون المناهضون للدعوة المحمدية يسمونه اساطير الاولين" هو الذي ورد في القران مقترنا بتسميات مختلفة تمثل شبكة من المصطلحات هي الحديث والقصة والنبأ ويمكن ان تدرس من وجهتين: آنية وزمانية[3].

وهذا الاشتقاق لكلمة أسطورة في العربية يقارب اشتقاقها في اللغات الاوربية، كما ذهب إلى ذلك أحد المستشرقين[4]، فكلمة Myth، في الإنجليزية والفرنسية وغيرها مشتقة من الأصل اليوناني Mythas، وتعني قصة أو حكاية. وكان افلاطون أول من استعمل تعبير Mythologia للدلالة على فن رواية القصص التي تحتوي عادة على الشخصيات الخرافية[5]، وبشكل خاص ذلك النوع الذي ندعوه اليوم بالأساطير.

غير أننا ننجد الياد ميرسيا يقول: "أنه من الصعب إيجاد تعريف للأسطورة يقبله جميع العلماء ويكون في نفس الوقت في متناول غير أصحاب الاختصاص، والأسطورة واقعة ثقافية بالغة التعقيد، يمكن تفسيرها من منظورات متعددة يكمل بعضها بعضا"[6]، ويمكن تعريف الأسطورة في نظر إلياد بكونها: "تروي تاريخا مقدسا، تروي

1- سورة الفرقان، اية: 5، سورة الانعام اية، 25، الانفال 31، النحل 24، المؤمنون 83، النمل 68، الاحقاف 17، القلم 15، المطففين 13.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة سطر.

3- محمد عجينة، موسوعة اساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، الطبعة الأولى، السنة 1994م، دار الفارابي، بيروت، ج1 ص: 19.

4- ميرسيا الياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، الطبعة الأولى، السنة 1991م، دار كنعان للدراسات والنشر، ص: 9.

5- فراس السواح، دين الانسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، الطبعة الرابعة، السنة: 2002م، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ص: 56.

6- ميرسيا الياد، مظاهر الاسطورة، ص: 9 مرجع سابق.

حدثا جرى في الزمن البدئي، الزمن الخيالي، وهو زمن " البدايات"، بعبارة أخرى، تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما الى الوجود، بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا، لا فرق بين ان تكون هذه الحقيقة كلية كالكون مثلا أو جزئية كان تكون جزيرة او نوعا من نبات او مسلكا يسلكه الانسان او مؤسسة. اذن هي دائما سرد لحكاية "خلق": تحكي لنا كيف كان انتاج شيء، كيف بدأ وجوده. لا تتحدث الأسطورة الا عما قد حدث فعلا، عما قد ظهر في كل امتلائه. اما اشخاص الاساطير ف" كائنات عليا". نعرفهم بما قد صنعوه في الأزمنة القوية، ذات التاثير الفعال، وهي ازمنة "البدايات""[1].

باختصار تصف الاساطير مختلف أوجه تفجر القدسي او الخارق في العالم. وليس كهذا التفجير للقدسي ما يؤسس للعالم حقا ويجعله على ما هو عليه اليوم. أكثر من ذلك عقب تدخل الكائنات العليا، صار الانسان الى ما صار اليه اليوم، كائنا فانيا، ذكرا وانثى كائنا ثقافيا[2].

كما يمكن تعريف الاسطورة بالنظر الى اصلها وسماتها ومضمونها على النحو التالي:

- **تعريف الأسطورة بالنظر الى اصلها:**

عرفها " كارل كيريني" بقوله: إن الأسطورة في المجتمع البدائي – أي في شكلها المعاش– ليست مجرد حكاية تحكى ولكنها حقيقة معاشة. إنها ليست اختراعا، ولكنها حقيقة حية يعتقد أنها حدثت في أزمان أولية، وانها لازلت تمارس تاثيرها على العالم وعلى مصائر البشر"[3].

1– نفس المرجع ص: 10.

2– مرسيا الياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، الطبعة الأولى، السنة 1991م، دار كنعان للدراسات والنشر، ص: 9– 10.

3– كارم محمود عزيز، أساطير العالم القديم، الطبعة الأولى، السنة: 2007م، مكتبة النافذة، ص: 20 نقلا عن كتاب " الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي: دراسة في ملحمة جلجامش، ص: 164.

ويضيف "برونيسلاف مالينوفسكي" أن الأسطورة إذا درست وهي حية فعالة، فإنها لا تكون تفسيرا يتطلبه إشباع الولع بالعلم، وإنما هي بعث روائي لحقيقة أزلية يروى لإشباع رغبات دينية عميقة وحاجات أخلاقية ومتطلبات اجتماعية واحتياجية عملية"[1]

وفي نظر "تيليارد"، "الأسطورة هي موهبة أي جماعة بشرية – كبيرة كانت او صغيرة– وقدرتها على ان تحكي قصصا معينة عن احداث او أماكن او اشخاص معينين خياليين كانوا ام حقيقيين، وتكون حكاية هذه القصص بشكل لا واع غالبا. ويكون لها مغزى رائع"[2].

ويرى " مالينوفسكي" ان الأسطورة " في حقيقتها ليست تعبيرا تافها ولا تدفقا عشوائيا لخيالات عميقة، ولكنها قوى ثقافية هامة تشكلت بصورة محكمة"[3]

ويرى اخرون بان الأسطورة بقوامها المتكامل المستوعب للكلمة والحركة والاشارة وتشكيل المادة، هي:" جماع التفكير والتعبير عن الانسان في مراحله البدائية القديمة"[4]

مؤرخي الديانات يزعمون بان الاساطير القديمة انما كانت " روايات خرافية تطورت من اجل تفسير طبيعة الكون ومصير الانسان واصول العادات والعقائد والاعمال الجارية في ايامهم، وكذلك أسماء الأماكن المقدسة والافراد البارزين" [5] أي ان الأسطورة كانت بمثابة العقيدة في الديانات القديمة"[6].

1- نفس المرجع ونفس الصفحة نقلا عن .Magic, science and religaion and other

2- نفس المرجع، ص: 21 نقلا عن كتاب Myth and english Mind

3- نفس المرجع، ص: 21 نقلا عن نقلا عن .Magic, science and religaion and other

4الفلكلور والميثولوجيا عبد الحميد يونس ص: 17.

5- صموئيل نوح كريمر: اساطير العالم القديم، ص: 70

6- نفس المرجع ص: 6.

يمكن ان نستنتج ان تعريف الاسطورة بالنظر الى هذا العامل على انها روايات لتفسير بعض تساؤلات الانسان في الأزمنة الأولى سواء كانت حقيقية او خرافية، وتتعلق بمعتقد الانسان.

- **بالنظر الى مضمونها:**

فقد اختلف مضمونها من تعريف الى اخر، فهناك مسلمة استندت عليها جميع التفسيرات التي جاء بها "ادوارد تايلور" و"جيمس فريزر" "وماكس مولر" و"هربرت سبنسر"، وهي المسلمة القائلة بان الاسطورة هي أولا واساسا جمع من الأفكار والمتمثلات والمعتقدات والاحكام النظرية[1]. كما ان هناك من يعرف الاسطورة بانها ليست سوى " علم بدائي" او تاريخ بدائي" او تجسيد لأخيلة لا واعية، او أي تفسير بهذا المنحى[2].

والاسطورة وفقا لأحد الآراء هي " القصة التي تختص بالآلهة وافعالهم ومغامرتهم حين لم يكن الانسان يبحث عن الالهة ذاتها، ولكن بوصفها القوى الغيبية التي تسيطر على الظواهر الكونية وتنظمها" كما تبدو في تعريف اخر على انها " روايات معينة تتعلق بالالهة او الكائنات الخارقة"[3].

في حين ان البعض قد ركز في تعريفه للأسطورة من نفس الزاوية على ما تتضمنه الاسطورة من " احداث" فيرى احد الآراء ان الاسطورة لا تخرج على ان تكون "قصة خيالية قوامها الخوارق والاعاجيب التي لم تقع في التاريخ ولا يقبلها العقل" وفي راي اخر تعتبر الاسطورة " قصة تراثية تم قبولها باعتبارها قصة تاريخية تشتمل على معتقدات الناس فيما يتعلق بالخلق والالهة والكون والحياة والموت"[4].

1- الدولة والاسطورة، لارنست كاسيرر، ترجمة: احمد حمدي محمود، السنة 1975م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: 34.

2- رائفين، الاسطورة: ص: 10.

3- الاساطير القديمة، ص: 25.

4- نفس المرجع، ص: 27.

ويفسر فيكتور تيرنر" ذلك بقوله: "ان الاسطورة تحكي عن كيفية تحول امر من الأمور الى حالة أخرى، وكيف تحول العالم الغير المأهول الى عالم مأهول وكيف اصبح الهيولي كونا، وكيف تحول الخالدون الى فانين، وكيف تحولت الوحدة الاصلية للجنس البشري الى تعددية من القبائل والأمم".

وقد ربط بعض الباحثين في تعريفاتهم بين مضمون الاسطورة وبين الدين او المقدسات، فرأى البعض ان الاسطورة هي "العرض الشفوي للدين" او كما وردت في تعريف "كلوكهون" هي "دلالة المقدسات" كما اكد "مرسيا الياد" "انها تحكي عن التاريخ الديني"[1].

يمكن استنتاج مفهوم الاسطورة بالنظر لهذا المعيار على انها كل ما يختص بالآلهة والخلق أي كل ما له علاقة بالدين والمقدسات.

والأسطورة هي واحدة من ثلاثة مكونات أساسية لاي دين، فالدين يتكون حسب فراس السواح من ثلاثة مكونات وهي: المعتقد والطقس والاسطورة. وهي دون غيرها كما يلي:

1- الأسطورة شكل من اشكال الادب الرفيع، فهي قصة تحكمها قواعد السرد القصصي.
2- الأسطورة قصة تقليدية ذات ثبات نسبي تتناقلها الأجيال شفاهيا وكتابة
3- الأسطورة لا تشير في جوهرها الى زمن جرى فيه الحدث وانتهى، بل الى حقيقة ازلية من خلال حدث جرى
4- الأسطورة ذات موضوعات شمولية كبرى كالخلق والتكوين واصول الأشياء والموت والعالم الاخر.
5- الأسطورة يكون محورها الالهة وانصاف الالهة، فاذا ظهر الانسان على مسرح الاحداث كان دوره مكملا لا رئيسيا.

1- نفس المرجع، ص: 27.

6- الأسطورة لا مؤلف لها لانها ليست نتاج خيال فردي او حكمة شخص بعينه، بل هي ظاهرة جمعية وقد يعيد الافراد صياغتها وفق صنعة أدبية

7- الأسطورة تتمتع بالقدسية ولها سلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم في عصرها

8- الأسطورة مربوطة بنظام ديني معين فاذا انهار هذا النظام تحولت الى حكاية دنيوية تنتمي الى نوع اخر من الأنواع الأدبية الشبيهة بالاسطورة، مثل الحكاية الخرافية والقصة البطولية، وقد تنحل بعض عناصرها في الحكاية الشعبية[1].

ويمكن توسيع التعريف المبسط للاسطورة على انها "حكاية مقدسة" في ضوء هذه النقاط الى تعريف أشمل، فتكون الأسطورة على ذلك: قصة تقليدية ثابتة نسبيا ومقدسة مربوطة بنظام ديني معين ومتناقلة بين الأجيال، ولا تشير الى زمن محدد بل الى حقيقة ازلية من خلال حدث جرى، وهي ذات موضوعات شمولية كبرى محورها الالهة، ولا مؤلف لها بل هي نتاج خيال جمعي.

- **تعريف الاسطورة بالنظر الى سماتها:**

بلغت تعريفات الاسطورة بالنظر إلى سماتها حد التباين في بعض الأحيان، هناك اتجاه حاول الاقلال من شأن الأسطورة حيث يزعمون بأن الأسطورة " روايات خرافية وهمية ذات منزلة فكرية وروحية ضئيلة أي إنها نتاج صبياني لخيال مهوش ووهم نزق". كما يزعم آخرون أنه " بالمغايرة لكل من المبدأ العقلاني والتاريخ، فإن الأسطورة كانت في النهاية تعني "ما لا يمكن ان يوجد في الحقيقة"[2].

ويناقض هذا الراي العلماء الذين يؤمنون بان اساطير العالم القديم انما " تمثل واحدة من اعمق منجزات الروح الإنسانية، وهي الخلق الملهم لعقول شاعرية خيالية موهوبة سليمة لم يفسدها تيار الفحص العلمي ولا العقلية التحليلية، ولذلك كانت

1- خزعل الماجدي، بخور الالهة، دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين، الطبعة الأولى، السنة: 1998م، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ص: 57- 58.

2- الاساطير القديمة، ص: 28

مفتوحة وعرضة لتأملات كونية عميقة" "وأنها أعمق ما أبدعه الانسان، لاسيما في العصور السابقة، فهي رؤية مستنيرة وتأمل عميق، وعصارة فكرة ناضج، وقد تصل إلى مستوى الفلسفة والنبوءة". ويرى شلنج أن الأسطورة " تمثل الفلسفة والتاريخ والشعر مجتمعة"[1].

يمكن استنتاج مفهوم الاسطورة بالنظر الى هذا المعيار على ان الاسطورة هو كل ما انتجه الفكر الإنساني بعد التأملات العميقة في الكون. يمكن ان نعطي كمثال على الاسطورة الالهة ايزيس الفرعونية عندما خاطبت الوشيوس ابوليوس قائلة:" انا الطبيعة والام العالمية وسيدة العناصر الأربعة، والطفلة الأولى للزمن وحاكمة الأرواح وملكة الأموات والخالدين، انا الصورة الظاهرة لكل الالهة الذكور منها والاناث والعقدة التي احملها تحكم أعالي السماء الامعة، وجميع رياح البحار، والسكون المطلق للعالم السفلي. ورغم عبادتي بمختلف المظاهر المعروفة بعدة مسميات واسترضائي بمختلف الطقوس فان كل الأرض الدائرية تعبدني"[2]. ان ما ذكرته ايزيس يدل على عالميتها، وكانت صورتها متشابهة لدى جميع من عبدوها ووصف أبوليوس فرح رؤياها الذي عوضه عن ألم البحث. وهذا المفهوم المكشوف كان يفسر في مبادئ العبادة اليونانية الرومانية، ويظهر الوصف ما يمكن ان تؤدي له الأسطورة العليا لان القصص الأسطورية العظيمة تجذب اللاوعي عند الانسان، وهي تعمل عن طريق الحدس، وقوة الأسطورة كضوء خاطف يضيء طريق المادة وتفسيرها ويجبر العقل على الاعتراف بالحاجة لفهم كاف لما تملكه الأسطورة من قوة والى زخم المعاني الموجودة في الشعر[3].

ثالثا: بين قداسة التلمود ومضمون الأسطورة.

1- نفس المرجع، ص: 28.

2- آرثر كورتل، قاموس اساطير العالم، ترجمة: سهى الطريحي دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع سوريا السنة 2010م، ص: 5.

3- نفس المرجع ونفس الصفحة.

لا شك أن نظرة اليهود للتلمود نظرة سامية وعالية ومقدسة ونزيهة، حيث يعتبرونه كتاب مقدس منزل من عند الله متساو في القيمة والمكانة مع التوراة إن لم يزد عليها، غير أن الله أعطى لموسى التوراة مكتوبة مدونة، بينما التلمود أعطاه له مشافهة غير مدون. ولا يكتفي اليهود بهذه القيمة للتلمود، بل أكثر من ذلك يضعونه في منزلة أسمى من التوراة. وفيما يلي ما يؤكد هذه المكانة من خلال نصوص التلمود:

جاء في التلمود:" إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها أو تغييرها ولو بأمر الله، وقد وقع يوما الاختلاف بين الباري تعالى وبين علماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدال، تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربيين، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور"[1].

معنى هذا أن أقوال البشر منزهة ومقدسة على كلام الله عز وجل، وهذا يفضي بنا الى اعتبار الحاخام هو الاله وهو المشرع وهو القاضي في كل المسائل. أي أقواله بمثابة "الماثور المقدس" او " الوحي الاولي" او " النموذج المثالي"، وهذا معنى الاسطورة المتعارف عليه عند علماء الانثولوجيا[2]، اذن ما طائلة الاعتراف بوجود الله ان كانت عقول الحاخامات اليهودية حكيمة ومدبرة لأمور الكون.

وهذا من نتاج الخيال البشري الخلاَّق، فانهم يؤكدون انه ليست مجرد وهم وان له علاقة بالواقع او الحقيقة، وهو في نظر معتقديه عين الحقيقة، وهو نفس ما تتضمنه الاسطورة[3].

وجاء في موضع آخر: "من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لان اقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى"[4].

1- نصر الله يوسف، الكنز المرصود، ص: 53.

2- علم يبحث في الاجناس البشرية، سواء الموجودة الان او التي اختفت منذ عهد قريب، مع العناية بنوع خاص بالدراسة التحليلية المقارنة للشعوب البدائية

3- ميرسيا الياد مظاهر الاسطورة، ص: 9 مرجع سابق.

4- نصر الله يوسف، الكنز المرصود، مرجع سابق، ص: 50.

هذا يدل على التعصب والتحجير على الفكر والعقل، ويؤدي الى الجهل المركب ونزع الحرية الفردية للشخص في اختيار ما يراه مناسبا لتوجهاته الفكرية والشخصية والعلمية والعملية. لان الحاخامات بشر ولها عقول، كيف يمكن لمن احتقر أقوال شخص مشابه له أن يستحق الموت، إذن قمة العبودية والتبعية في الجهل.

كما جاء أيضا في موضع اخر:" ليس من سعادة الإنسان الذي يعتدي على أحكام التلمود وتعاليمه، ويحافظ على التوراة"[1] أي " أن تعاليم الاهوتيين في التلمود لهي أطيب من كلام الشريعة"[2].

ونعلم ان الاسطورة هي التظاهر بالاعتقاد، وهي دليل موجه، لأنها تخبرنا ما يجب علينا فعله لتكون حياتنا اكثر غنى[3]. وهذا ما يتضح من هذا النص كيف يوجه حياة اليهود للافضل.

كما يعلم التلمود أيضا: " إذا أتى صوت من السماء يبقى من غير قيمة حتى يحققه الرباني"، وأقبح من ذلك قوله:" إن الله إذا عضد ربانيا وفي مجادلة فإنه يعضد خصمه في المجادلة نفسها ولو غلبه"[4]، وهذه العصمة التي يتحدث عنها التلمود لا تختص بالحاخامات، بل بكل ما يتعلق بهم أيضا، حتى قيل: " إن حمار الحاخام لا يمكن ان يأكل شيئا محرما"[5].

وهذا مستحيل تحقيقه على ارض الواقع، وهذا يوافق ما انتهت له دلالة الاسطورة كونها تدل " على كل ما لا يمكن ان يوجد حقا"، او "ما لا وجود له في عالم الواقع"[6].

1- بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، الطبعة الثانية، 1973م، المكتب الإسلامي، بيروت، ص: 26.

2- نفس المرجع، ونفس الصفحة. ص: 26.

3- تاريخ الاسطورة، ص: 14

4- نفس المرجع، ص: 31

5- نفس المرجع، ص: 50

6- أمل مبروك، الاسطورة والايديولوجيا، دار النشر التنوير، دون طبعة ودون سنة، ص: 23

وتضطرب اراء اليهود في كثير من الاحيان وهم يضعون التلمود في تلك المكانة فيعلنون أن التلمود وان كان أقوال الحاخامات، إلا انه في مقام التوراة، تبريرهم لذلك أن أقوال الحاخامات كقول الله، فالله – حسب زعمهم- يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة مستعصية ومعضلة لا يمكن حلها في السماء، وإذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات، يعاقب أشد العقاب، لأن مخالفة شريعة موسى خطيئة قد تغتفر، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل[1].

أن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها " جزء من الله كما أن الابن جزء من والده" ومن تم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن " الأرواح غير اليهودية أرواح شيطانية أو شبيهة بأرواح الحيوانات"، وقد خلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان، " ليكون لائقا بخدمة اليهود، الذين خلقت الدنيا من أجلهم"[2].

يعتقد الناس بوجود ترابط لا انفصام فيه بين الآلهة والبشر والحيوانات والطبيعة، وإنها جميعا خاضعة لنفس القوانين، ومكونة من مادة إلهية واحدة في البداية، لم يكن هنالك فجوة وجودية بين عالم الآلهة وعالم البشر، وعندما يتكلم الناس عن شيء إلهي، فهم يتكلمون عن جانب من جوانب العالم الأرضي[3]. ويمكن الربط بين النصين على ان بينها بعض من التوافق بكون وجود ترابط بين الالهة والارواح اليهودية فقط، وهذا دليل على التعصب والنزعة الشخصانية.

وجاء في نص التلمود ما يؤيد ما سبق ذكره : أن الأمميين هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار فإذا نفق منهم حمارا ركبنا منهم حمارا[4].

1- احمد شلبي، مقارنة الاديان: اليهودية، الطبعة الثامنة، السنة 1988م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. ص: 266.

2- نفس المرجع، ص: 149.

3- كارين ارمسترونغ، تاريخ الاسطورة، ترجمة: وجيه قانصو، الطبعة الأولى: السنة 2008م، الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان، ص: 11.

4 – انور الجندي، المخططات التلمودية واليهودية والصهيونية، ص: 26.

وهذا الكلام فوق تصور الخيال، والذي هو الملكة التي تنتج الدين والميثولوجيا. وهو تلك الملكة التي تمكن العلماء من اخراج معارف جديدة الى الضوء، والى اختراع التكنولوجيا التي جعلتنا اكثر فعالية بكثير[1].

والأسطورة تدور حول المجهول، حول أشياء لا نملك منذ البداية كلمات للتعبير عنها. تنتظر الأسطورة في قلب الصمت الكبير. اذن هذا الكلام الوارد في التلمود لا علاقة له حتى بما يسمى الخيال المدرج في الأسطورة.

كما يرى التلمود أنه " لولا خلق الله اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الشمس والامطار، ولما عاشت بقية المخلوقات"[2].

توهم اليهود كونهم سبب البركة وسبب عيش باقي المخلوقات الأخرى، وهذا بعيد كل البعد عن كل تصور، حتى الاسطورة توقظ فينا النشوة حتى في وجه الموت والياس اللذين يتولدان من تصور العدم والفناء، ومتى توقفت الأسطورة عن احداث هذا التاثير فانها تموت وتصبح عديمة الفائدة، وحتى الاسطورة تروي حدث حصل في زمن ما وتجعله ممكن الحصول في كل الازمنة[3].

كما جاء في التلمود أيضا: و"من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر، لأن من يسفك دم الكافر يقدم قربانا لله"، و"من يقتل مسيحيا أو أجنبيا أو وثنيا يكافئ بالخلود في الفردوس والجلوس هناك في السرايا الرابعة، أما من يقتل يهوديا فكأنه قتل العالم أجمع، ومن تسبب في خلاص يهودي فكأنه خلص الدنيا كلها"[4].

يتضح مما سبق بأن التلمود يعطي الصلاحية لكل مواطن يهودي، بكونه منزه ومعصوم، حتى و إن ارتكب أعظم جريمة تجرمها جميع الديانات، وتنفر منها الطباع البشرية، وتهدم القيم الأخلاقية، ألا وهي جريمة القتل، ويجعلون مكافئته بأن يجزى جنة الخلد، هذا مما لا يقبله عقل ولا منطق، بله عرضه وقياسه بمقياس الشرع الحكيم.

1- تاريخ الاسطورة، ص: 9- 10. مرجع سابق

2- نفس المرجع، ونفس الصفحة.

3- تاريخ الاسطورة، ص: 13. مرجع سابق.

4- همجية التعاليم الصهيونية، ص: 38.

وهذه الأسطورة واحدة من عدة أساطير تم اختلاقها، وإضافتها إلى مادة التوراة، لكي تؤكد تلك النزعة العنصرية التي أدت إلى تبلور عدد من المفاهيم الدينية العنصرية مثل مفهوم الاختيار الإلهي لبني إسرائيل. واطلاق لقب شعب الله المختار عليهم، وقصر الوعود والمواثيق الإلهية على هذا الشعب. وهناك أيضا مفهوم الخلاص الذي جعل الخلاص الإلهي قاصرا على بني إسرائيل دون البشر جميعا، كم تم كذلك تغيير اسم الأرض من ارض فلسطين او ارض كنعان الى ارض إسرائيل. وقد تطورت هذه النزعة العنصرية الى ما هو ابعد واخطر من ذلك، حيث أصابت العنصرية فكرة التوحيد، فجعلت الاله الواحد الها للإسرائيليين فقط واطلقت عليه لقب " اله إسرائيل" لتمييزه عن بقية الالهة. وهذا معناه ان التوحيد اصبح توحيدا خاصا لا عاما كما ان الاله الواحد اصبح الها واحدا خاصا بالإسرائيليين مع الاعتراف بوجود الهة أخرى للشعوب الأخرى. وهكذا وصلت العنصرية الإسرائيلية الى ذروتها بالجمع بين العنصرية الجنسية او العرقية والعنصرية الدينية[1].

وسأذكر فيما يلي اقوال تؤيد مكانة التلمود عند اليهود والتي من بينها:

- يذكر الدكتور جوزيف باركلي أنه على الرغم من أن أي مجمع يهودي عام لم يتبن التلمود رسميا، الا أن اليهود تبنوه، لأنه زودهم بشيء شعروا بحاجتهم إليه[2].
- ويرى الدكتور فابيان أن التلمود "أسهم بقوة في حفظ اليهودي، بأن مكنه من أن يتاقلم مع كل زمان ومكان، في كل دولة ومجتمع، وفي كل درجة من الحضارة"[3].
- يقول Ginzberg: "أعطى التلمود اليهودي جنة روحية خالدة، يلجأ إليها كيفما شاء، هاربا من العالم الخارجي، بكل ما فيه من حقد ومظالم، وعلى

1- محمد خليفة حسن احمد، دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة السنة 1885م، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص: 16- 17.

2- المرجع السابق، نقلا عن كتاب .hebrew literature

3- همجية التعاليم الصهيونية، مرجع سابق، ص: 33- 34.

صفحات التلمود وجدت أجيال اليهود المتعاقبة إشباعا لاعمق أمانيها الدينية، وكذلك وجد اليهود في التلمود نافذتهم لأسمى استلهاماتهم الفكرية، ورغم أن العالم قد انقطع عن قرونه الماضية، فان التلمود لا يزال بعد التوراة القوة الروحية والاخلاقية المثمرة في الحياة اليهودية"[1].

يتضح من خلال هذه الاقوال والنصوص التلمودية قيمة وأهمية التلمود في حياة اليهود، ومدى اعتقادهم بنزاهته وقداسته وكونه فوق كل شيء، والذي كونه بمثابة اقوال الحاخامات وأراءهم، وكما هو معلوم أن عقل الانسان قاصر ان يدرك كل شيء وقاصر ان يحيط علمه بكل شيء، بعيدا عن التعصب الديني والنزعة الانتمائية الذاتية، ان قسنا هذه الاقوال التي تعبر عن قداسة التلمود بمنطق العقل، سنجد أن هذا الصفة المقدسة التي حظي بها التلمود، وهذا الاعتقاد الراسخ في عقلية ونفسية كل يهودي بكونه –التلمود– شيء مقدس وفوق التوراة مردود على أصحابه.

خـــــــاتـــمة:

وهذه الاساطير التلمودية بينة الوضع، مفضوحة الغرض، مهترئة الحبكة، غير ان جلها بعيد عن تصورها حتى في الخيال، غير ان معتقدي تعاليم التلمود يؤمنون بها، ويقدسونه فوق مكانة التوراة. التي اوحي بها الى موسى عليه السلام كتابة، وليس شفويا،كما هو الشأن بالنسبة للتلمود. غير انهم يتطلعون بها نحو المستقبل من اجل السيطرة على العالم، عن طريق دس هذه المكايد التلمودية لإيهام الاخر بكونهم شعب الله المختار، وان غيرهم من الأغيار مجرد حيوانات خلقوا لخدمتهم. وذلك عبر رصد أيادي خفية لتحقيق ماربهم، في السطو والسيطرة على كل دول العالم، غير اننا نجد ان هناك بعض التعاليم هي أقرب الى ما تتضمنه الاساطير من اعتقادات خيالية يؤمن بها أصحابها من اجل الخروج من الازمات النفسية الناتجة عن حقد دفين الاخر وحب التملك والتسلط، وفي هذا السياق يقرر مرسيا الياد ان بعض الباحثين يرون ان ما يصيب المجتمعات الحديثة، من ضيق وقلق وما تواجه من أزمات، انما يعود الى

1- كامل سعفان، اليهود تاريخ وعقيدة، ص: 152.

غياب اسطورة خاصة بها[1]. غير اننا نلاحظ انه تم تجاوز الاعتقاد بما يسمى الاساطير، وأصبح الانسان يعيش مجردا منها، اذا ما قارناه بمجتمع الأزمنة الماضية، واصبح للإنسان توجها اخر عبر مساءلة العقل وطرح إشكالات جديدة توصله الى المعرفة حقا.

غير ان الاشكال المطروح، هل تملك الاسطورة اليوم فعالية التأثير والتأثر على الإنسان بنفس درجة الأزمنة الماضية؟؟؟

1- أمل مبروك، الاسطورة والاديولوجيا، دار النشر: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع دون طبعة ودون سنة، ص: 67.

لائحة المراجع:

- أحمد سوسة، **العرب واليهود في التاريخ**، الطبعة الثانية، العربي للإعلان والنشر والطباعة.
- احمد شلبي، **مقارنة الاديان: اليهودية**، الطبعة الثامنة، السنة 1988م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- آرثر كورتل، **قاموس اساطير العالم**، ترجمة: سهى الطريحي السنة 2010م، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع سوريا.
- ارنست كاسير، **الدولة والاسطورة**، ترجمة: احمد حمدي محمود، السنة 1975م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أمل مبروك، **الاسطورة والاديولوجيا**، دار النشر: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع دون طبعة ودون سنة.
- انور الجندي، **المخططات التلمودية واليهودية والصهيونية**، الطبعة الثانية، السنة 1977م، دار الاعتصام.
- بولس حنا مسعد، **همجية التعاليم الصهيونية**، الطبعة الثانية، 1973م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- حسين نعمة، **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**، السنة 1994م، دار الفكر اللبناني، بيروت.
- خزعل الماجدي، **بخور الالهة، دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين**، الطبعة الأولى، السنة: 1998م، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن.
- الشرقاوي محمد عبد الله: **الكنز المرصود في فضائح التلمود**، الطبعة الاولى، السنة 1993م، مكتبة الزهراء القاهرة.
- عرفان عبد الحميد فتاح، **اليهودية: عرض تاريخي**، الطبعة الاولى، السنة 2002م، دار عمان.
- فراس السواح، **دين الانسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني**، الطبعة الرابعة، السنة: 2002م، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة،

- فكري جواد عبد، **كتاب التلمود وأثره في الفكر اليهودي**، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد السادس، السنة 2007م.
- كارم محمود عزيز، **أساطير العالم القديم**، الطبعة الأولى، السنة: 2007م، مكتبة النافذة.
- كارين ارمسترونغ، **تاريخ الاسطورة**، ترجمة: وجيه قانصو، الطبعة الأولى: السنة 2008م، الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان.
- كامل سعفان، **اليهود تاريخ وعقيدة**، الطبعة الثانية، دار الاعتصام.
- محمد خليفة حسن، **دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة** السنة 1885م، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- محمد عجينة، **موسوعة اساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، الطبعة الأولى، السنة 1994م، دار الفارابي، بيروت.
- مرسيا الياد، **مظاهر الأسطورة**، ترجمة نهاد خياطة، الطبعة الأولى، السنة 1991م، دار كنعان للدراسات والنشر.
- المسيري عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، الطبعة الاولى، دار الشروق، القاهرة.
- هلال فارحي ولش، **أساس الدين**، ترجمة وتحقيق: أسعد الشدودي، الطبعة الاولى، السنة، 2005م، دار ومكتبة بيبليون.
- يوسف نصر الله، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، الطبعة الاولى، السنة 1987م، دار العلوم بيروت.